والسؤال الذي يمكن أن يطرح الآن هو: لماذا أخفق الحكيم في رسم شخصياته؟.

هناك عدة أسباب جعلت الحكيم يخفق في خلق شخصياته. ومن أهم هذه الأسباب نذكر ما يأتي:

1 ـ إن الحكيم يعتمد في مسرحه خاصة على الأساطير أو ما يشبهها، كما نرى في «بجماليون» و«الملك أوديب» و«شهرزاد» و«سليمان الحكيم» و«أهل الكهف» و«إيزيس» و«السلطان الحائر».

ولا ريب في أنه من الصعب على الكاتب أن يجرد مثل هذه الشخصيات من صفاتها الأسطورية، وأن يجعلها من البشر العاديين، لأن تجريدها من صفاتها يتطلب خيالاً يكون من القوة بحيث يستطيع أن «يحيلها إلى كائنات بشرية تحس وتتألم وتفكر..»[18].

2 ـ إن الحكيم يميل إلى طرح قضايا افتراضية في مسرحه، كما أشرنا منذ قليل ثم يدرس النتائج التي تتولد عنها لو تحققت، فنراه ـ مثلاً ـ في مسرحية «رحلة إلى الغد» يفترض أن سجينين حكم عليهما بالإعدام، وأرادا أن يتفادبا الموت فتطوعا بالسفر في صاروخ هبط بهما على كوكب آخر لا يعرف الموت، واتضح لهما أنه مقضي عليهما بالخلود الذي يعد فظاعة بالنسبة إلى الإنسان، وأنهما أصبحا شيئاً يوجد باستمرار دون أي هدف مثل أي «جبل معدني»[19]، أو ظاهرة من ظواهر الطبيعة التي لا تتغير، وفقدا الشعور بالزمن حين تجمدت بهما الحياة، وتوقفت الحوادث، فاضطرب أمرهما أشد الاضطراب:

«السجين الأول : لن يحدث شيء هنا..

السجين الثاني : (صائحاً) لا تقل ذلك.. وإلا جننت.. أتريد أن أجن؟.. إني حتماً سأجن.. لا يمكن أن تقبل عقولنا سفه الفكرة.. أن تتجمد الحياة.. أن تقف الحوادث.. ألا يحدث شيء.. سأحس.. سأحس..»[20].